obeikandl.com

الفصل الأول

في خطر

تدرس هيثر البالغة من العمر تسعة عشر عاماً الفنون التمثيلية. في عامها الأول جاءت لرؤية إخصائي نفسي بسبب معاناتها من تقلّب المزاج ونوبات من البكاء دون سبب. هي في المعتاد شخصية اجتماعية وغير انهزامية، وعلى استعداد دائم للمرح. لكن في الشهور الأخيرة، انسحبت كثيراً من محيطها الاجتماعي وتقوقعت في غرفتها، ضحية لشعور بعدم القيمة – وحتى كراهية الذات. كانت تلك الحالة مؤلمة، وبدأت تعوق دراستها وتؤثر على علاقاتها بأصدقائها. حاولت التحسين من جودة طعامها وممارسة اليوغا، لكنها لم تستطع العودة إلى طبيعتها الأولى، ولم تعرف السبب. قام الإخصائي النفسي بتحويلها إليّ.

أكّدت لى ونحن نتحدّث أنّها غير قادرة على تبيُّن أى منطق وراء تغيراتها المزاجية تلك، فالحياة كانت تسير على ما يرام، ولم يكن هناك ما تشكو منه. أحبت هيثر الجامعة وكان لديها الكثير من الأصدقاء. كما أن أسرتها توفر لها الدعم. لديها ما يكفى من المال. وصحتها العامة على ما يرام.

سألتُها: "كم من الوقت مرّ على هذه الحالة؟"

– "ممم. لا أدرى. ربما.. منذ بداية العام. كانت دائماً ثقتى بنفسى ضعيفة، أمّا الآن فقد أصبح الأمر غاية فى السوء".

– "هل حدث لك شىء ما فى ذلك الوقت؟"

أطرقت تُفكّر ثم أجابت : "لا، لا أعتقد.... لا يمكننى التفكير فى شىء بذاته".

أحياناً ما تظهر الأعراض دون مقدمات، ولكننى قررت أن أسألها مرة أخرى. "هيثر.. رجاء فكرى بهدوء مرة أخرى. فى الخريف أو ربما فى بداية الشتاء، هل حدث أن فقدتى شخصاً عزيزاً عليكِ، أو حيواناً أليفاً مثلاً؟ هل مررت بتجربة مخيفة أو خطيرة؟ هل بدأت أية علاقة أو أنهيتيها؟"

فكرت بالأمر مرة أخرى ثم استطردت "حسناً، يمكننى فقط التفكير فى شىء واحد: فمنذ عيد الشكر كان لدىّ "صديق يريد مزايا العلاقة" وفى الحقيقة أشعر بالارتباك إزاء الأمر".

" -حقاً؟ إذن أخبرينى المزيد"

" -التقيته فى حفل، وأعجبنى حقاً، لكن هناك تلك المشكلة. أود قضاء المزيد من الوقت معه وفعل أشياء معاً مثل الذهاب للتسوّق أو مشاهدة فيلم.

فهذا يجعل من علاقتنا صداقة فى نظرى. لكنه يرفض ويقول إنه إذا فعلنا تلك الأشياء فإن ذلك يجعل ما بيننا "علاقة" فى رأيه، وذلك أكثر مما يرغب فيه. وأنا أشعر بالحيرة، إذ يبدو أننى لا أحصل على جزء "الصديق" لكنه ما يزال يحصل على "المنافع"".

كانت هيثر بالفعل فى متاهة. لم يكن لديها أى مفاتيح لحل اللغز.

" -أعتقد أن كثيراً من الناس سوف يشعرون بمثل ما تشعرين به. فأنت تمنحينه ما يريده ولا تحصلين على ما تريدينه".

أجابت: "نعم. فى الحقيقة لست سعيدة إزاء ذلك. من الصعب أن أكون معه ثم أعود إلى البيت لأصبح وحيدة من جديد".

تحدثنا عن شعورها بالضيق وعن رغبتها فى تغيير الوضع. "هل تعتقدين أن تلك الحالة المزاجية التى تمرين بها عندما تكونين غير سعيدة وغير راضية عن نفسك.. هل تظنين أنها متعلقة بهذا الوضع؟"

فكّرت فى سؤالى قليلاً. ثم أجابت :"لست أدرى... ربما.. ما رأيك؟"

أوليفيا هى الأخرى فى سنتها الأولى وتبلغ من العمر الثامنة عشرة. كانت متميّزة وسط زملاء فصلها، وتتمنى الالتحاق بكلية الطب. لكن أوليفيا أخبرتنى للتو بأنها تتقيّأ ست مرات يومياً، لذلك أرسلتها فوراً إلى المعمل من أجل إجراء تحليل دم. إذا كان البوتاسيوم منخفضاً فقد يتسبّب ذلك فى عدم انتظام نبض القلب.

قديماً أصيبت أوليفيا وهى فى الصف التاسع بمرض الشراهة. تحسّنت حالتها مع العلاج ، وقد ظنّت أن نوبات القئ والأكل بلا قيود قد انتهت، حتى التحقت بالجامعة. ليس السبب هو الضغط الأكاديمى، فهى تبلى بلاء حسناً فى جميع المواد الدراسية. لا، بل كانت نهاية قصة حب هى التى تسببت فى انتكاس أوليفيا ومجيئها إلى عيادتنا طلباً للمساعدة. أدرك

معالجها ما تعانى منه من اكتئاب وخلل فى تناول الطعام وبعث بها إلىّ من أجل تقييم حالتها النفسية. فى لقائنا الأول، وصفت أوليڤيا العلاقة القصيرة التى مرت بها، وأول تجربة حميمية. قالت وهى تنتحب "عندما انتهت العلاقة، آلمنى ذلك للغاية". استطردت: "أفكّر فيه كل الوقت، ولم أعد أحضر أحد دروسى لأنه سوف يكون هناك وليس بمقدورى أن أراه. لم أكن مستعدة لذلك أبداً... لماذا يا دكتورة؟". سألتنى: "لماذا يخبروننا كيف نحمى أجسامنا – من الهيربس والحمل – ولا يخبروننا كيف نحمى قلوبنا؟"

كانت أوليڤيا فتاة ذكية تطرح سؤالاً مهماً. لماذا يتم إغراق التلاميذ بمعلومات عن موانع الحمل، والوجبات الصحية، والنوم الصحى، وكيفية التعامل مع القلق والضغوط. كل ذلك دون كلمة واحدة عن الدمار الذى يحدثه الجنس الكاچوال فى مشاعر الفتاة الشابة؟ لا يتعلق الأمر أن أبحاثاً فى هذا الموضوع لم يتم إجراؤها بعد.

لأولئك الذين يثقون فى جريدة طبية بقدر أكبر من ثقتهم فى حكمة أمهاتهم، دعونا نلقى نظرة على واحدة من الدراسات الحديثة. دراسة تناولت ٦٥٠٠ مراهق، الفتيات المراهقات الناشطات جنسياً كنّ أكثر احتمالية للإصابة بالاكتئاب ثلاث مرات، وأكثر احتمالية للإقبال على محاولة الانتحار بثلاث مرات، من الفتيات غير الناشطات جنسياً. تقرير آخر عنوانه "أنت لا تمنحنى أى شىء سوى السقوط: بين الاكتئاب ورومانسية المراهقين". تناول التقرير نتائج ٨٠٠٠ مراهق ومراهقة وقام بتحليلها. استنتج الباحثان أن "النساء يتعرضن إلى قدر أكبر من الاكتئاب مقارنة بالرجال جراء التورّط العاطفى" وأنّ "هشاشة النساء الأكبر فى مواجهة التورّط العاطفى قد تفسّر معدلات الاكتئاب الأعلى بين المراهقات".

إذن يتفق البروفيسوران مع أوليڤيا: أن القلب المحطّم يسبّب الألم.

والاحتمال الأكبر أن قلب أوليفيا يؤلمها أكثر من الألم الذى يعانيه قلب الشخص الذى تخلّص منها. "الهشاشة الكبرى لدى النساء".. يبدو ذلك صحيحا من وجهة نظرى.

بالطبع هناك فتيات فى الجامعة يتخذن قرارات حكيمة إزاء العلاقات. لكن إن كنت تفترض أن هيثر وأوليفيا استثناءات فلدىّ أخبار أخرى: إن جدول مواعيدنا مزدحم بمثلهن. تصطف الفتيات فى طابور من أجل حجز موعد. ومكالماتهن تغزو خطوطنا التليفونية. لقد رأيت الكثير من الطالبات أمثال هؤلاء، تتداخل وجوههن فى مخيلتى، جمع جدير بالشفقة من الفتيات الشابات الهشّات، لم يتم تأهيلهن للحياة الجامعية، تتّخذن قرارات خاطئة، وتدفعن أثماناً باهظة.

لا توجد كمية من البروزاك ولا الزولوفت[1] قادرة على حل هذه المشكلة. على هؤلاء الفتيات الشابات -من أجل سلامتهن الجسدية والنفسية- أن يغيرن أنماط حياتهن. وعلى المعالجين النفسيين والأطباء والمرضين الذين يقدمون لهنّ الاستشارة مسئولية تشجيعهن على التخلص من سلوكياتهن المدمرة عاطفياً، تماماً كما يرشدون مريض السمنة أو مُدمن النيكوتين إلى أنظمة الحمية وممارسة التمارين الرياضية والإقلاع عن التدخين.

لكن هل فعل ذلك جائز وعملى؟

إن التأكيد على التبعات السلبية لثقافة "كل شىء يجوز" وثقافة المصاحبة سوف يهدّد مبدأ مساواة النساء والرجال، وسوف يقوّض مملكة "الجنس الأكثر أمناً". وفى مدننا الجامعية المُعلمَنَة بشدّة لا توجد معتقدات أكثر قدسية من تلك.

كيف تتلقى الفتيات مثل هيثر وأوليفيا المعرفة اللازمة لاتخاذ قرارات

(١) عقاقير مضادة للاكتئاب.

صحية فى حياتهن الخاصة؟ ما الإرشاد الذى تتلقّنه من المصادر الجامعية، مثل مراكز الصحة والاستشارات، مواقع الإنترنت، والصحف؟ هل يوافق الآباء والأمهات الذين يموّلون تلك المصادر من خلال الضرائب والمصروفات الدراسية على ما فيها من محتوى؟

قررت أن أجيب عن تلك الأسئلة بعد سماع قصص هيثر وأوليڤيا – قصص بلا شك تتكرر بشكل لا نهائى فى جميع المدن الجامعية فى بلادنا.

سريعاً ما جمعت كومة من المطبوعات ومواقع الإنترنت لدراستها. كان هناك شىء واحد مؤكد: لم يكن هناك نقص فى المعلومات حول الريجيم والتمارين الرياضية والنوم. اشتمل "نمط الحياة الصحى" كذلك على تعلُّم كيفية الاسترخاء ومسايرة الضغوط. ومن الواضح أن التدخين مُستبعد تماماً. فى الحقيقة أن رابطة الصحة الجامعية الأمريكية تمادت إلى الحد الذى أصدرت معه بيانا عن التبغ فى المدن الجامعية يعلن أن "استخدام التبغ فى أى شكل من الأشكال، وسواء بالتدخين السلبى أو الإيجابى هو تهديد خطير للصحة"، كما يشجع الجامعات على أن تكون "أكثر اجتهاداً فى العمل على تحويل المدن الجامعية إلى بيئات خالية تماماً من التبغ/والتدخين". ولتحقيق ذلك اقترحت الرابطة عدداً من التدابير ومنها: منع التدخين فى جميع المناطق العامة فى الجامعة وحتى مساكن الطلاب (بما فى ذلك قاعات الجلوس والأروقة والمصاعد والسلالم والحمامات وغرف الغسيل)، تقديم مبادرات للمكافحة والتثقيف تتناول مخاطر التبغ وتدعم الإقلاع عن استهلاكه، تقديم برامج لخطوات عملية من أجل الإقلاع عن التبغ، منع الإعلان عن التبغ أو بيع منتجاته فى المدينة الجامعية، وتحريم قبول الدعم من منظمات مُروِّجة للتبغ لأية فعاليات تُقام فى المدينة الجامعية.

كل ذلك رائع ولا بأس به – أوافق على أن التدخين عادة سيئة. ولكنى

كنت أبحث عن شيء يتناول الأذى العاطفى الذى يتعرّض له مرضاى. على سبيل المثال، شيء يساعد هيثر وأوليڤيا على استيعاب رد فعلهما الطبيعى نحو علاقاتهما، ويُرشد الفتيات الشابات إلى اتخاذ قرارات صحيّة. كنت أبحث عن مواد تصنّف الجنس الكاچوال كخطر على الصحة النفسية للمرأة. وأنه علاوة على مشاعر الأسى والغضب، قد يؤدى إلى أعراض سوف تقف حائلاً بين الفتاة وبين التركيز والإنجاز الأكاديمى. مواد تشير بوضوح إلى أن ساعات كان من الأفضل قضاؤها فى المكتبة سوف تضيع هباءً فى البكاء مع الصديقات وفى مركز الاستشارات والصحة الطلابية. أنّ معدل درجاتها العام- ذلك الرقم المحورى فى قبولها بالجامعة - قد ينخفض. مثل تلك المواد قد تدعمها بيانات مأخوذة من الدراسات المذكورة عاليه، تلك التى تشير إلى أن الفتيات أكثر عرضة للاكتئاب عندما يتعلق الأمر بالرومانسية. يمكن أيضاً أن تحتوى على النتائج المذهلة للبحوث التى تمت على كيمياء الارتباط.

اكتشف علماء الأعصاب أن هناك خلايا معينة وكيميائيات معينة فى المخ تدخل فى عملية التعلق. المادة الكيميائية التى تحتاج هيثر وأوليڤيا لمعرفة المزيد عنها اسمها "أوكسيتوسين". هو هرمون، رسول من عضو إلى آخر، له مهام محددة؛ فى هذه الحالة يتم إرساله من الدماغ إلى الرحم والثديين، لاستشراف الحمل وإدرار اللبن. ليست مفاجأة إذن أن يكون الأوكسيتوسين مُتورّطاً فى تكوين الروابط بين الأم والطفل؛ عند حقن أنثى الفأر بالأوكسيتوسين فسوف تنشأ رابطة بينها وبين طفل فأرة أخرى وتقوم بحمايته كما لو أنه طفلها هى.

ما يهم مرضاى فى تلك المرحلة من حياتهن هو أن الأوكسيتوسين يتم إفرازه أثناء النشاط الجنسى. هل يمكن أن يكون المركب الكيميائى الذى

يسرى فى عروق المرأة وهى تُرضع طفلها ليخلق تكريساً قوياً وغير أنانى هو ذاته الذى يسرى فى عروق فتيات جامعة وهن فى صحبة رجال آخر ما يخطر على بالهم هو الارتباط؟

هكذا يصف الموضوع واحد من علماء علم النفس العصبى :فى البداية تلتقينه وتجدينه شخصاً محتملاً. المرة الثانية التى تخرجين فيها معه تجدينه مقبولاً. المرة الثالثة تخرجين معه وتمارسين الجنس. ومنذ تلك اللحظة وما بعدها لا تتصورين شكل الحياة بدونه.... ما الذى يقف وراء ذلك؟ قد يكون هو الأوكسيتوسين".

إطلاق الأوكسيتوسين قد يخضع لقواعد "الارتباط الشرطى" الكلاسيكية، فبعد فترة قد لا يتطلب الأمر أكثر من مجرد رؤية نفس الرجل لإطلاق المركب الكيميائى فى الدم. هل تتجنّب أوليفيا الفصول التى تجمعها بصديقها القديم لأن رؤيته تضخ فى دمائها جرعة من هذا الهرمون، فتصبح فريسة هجوم لمشاعر ارتباط معذّبة؟

إضافة إلى الارتباط، فالأوكسيتوسين يزيد من الإحساس بالثقة. الباحثون الذين يدرسون التحويلات المالية توصّلوا لذلك الاكتشاف المذهل. أخضعوا أزواجاً من العينات لممارسة لعبة يخاطرون فيها بأموال حقيقية. كل منهم تلقّى نفحة إما من الأوكسيتوسين أو البلاسيبو(١)، ثم لعبوا لعبة يمكن فيها للمستثمر أن يكسب أو يخسر بناء على شرف الشريك أو خيانته. الذين استنشقوا الأوكسيتوسين كانت لديهم ثقة أكبر فى شركائهم؛ وأقدموا على مخاطرات تَجنّبها الآخرون.

قد تقول إننا مخلوقون بحيث نتوق إلى الارتباط. علم طب الأعصاب

(١) حبوب دوائية خالية من المواد الفاعلة تستخدم أحيانا فى التجارب لإيهام المريض بأنه يتناول دواء فاعلاً.

والغدد الصماء (نيوروإندوكرينولوجى) يفترض أنه فى علاقاتهما الغرامية العابرة تبنّت هيثر وأوليفيا تبنتا دون قصد مشاعر قوية من الارتباط والثقة. لذا فإن حنين هيثر وكآبة أوليفيا قد يكون لهما جذور فى طبيعتهن البيولوجية.

هل يحتاج خبراء المعرفة المتمرسون فى ثقافة العلاقات العابرة التى تهيمن علينا والتى تلقّن عقيدة "المطاط خير حافظ"، هل يحتاج هؤلاء إلى المعرفة؟ أعتقد ذلك. إذن لماذا لم يسمعوا بتلك المعلومات؟ لماذا لم يصبح الأوكسيتوسين – الذى يُسمّيه أحد علماء الأعصاب بـ "شراب الحب" جزءا من مفردات شبابنا وفتياتنا؛ لماذا ليست لديهم دراية به كما هم على دراية بالكربوهيدرات والدهون، النيكوتين والستيرويد[1]؟

أعترف أن فكرة كوننا مخلوقين وفق بنية تصميمية دافعة على الارتباط قد تكون غير مقبولة لدى البعض. فهى تعنى أن النشاط الجنسى، خاصة لدى النساء، قد يكون أكثر تعقيداً من – فلنقل مثلاً – ممارسة الرياضة. هى فكرة تفترض أن النساء قد تكنّ أكثر هشاشة وأقل حماية. تلك الكلمات – للبعض فى الأوساط الجامعية – هى بمثابة مفردات قتالية. علم النفس منحرف بشدة نحو الرؤى الليبرالية. هل يمثّل تأثير الأوكسيتوسين تهديداً للأجندة النسويّة؟ لا أستطيع التفكير فى تفسير آخر وراء فشل تلك الدراسات فى الوصول إلى عناوين الصحف.

جاء فى مقال بعنوان "عندما تُخفَى نتائج البحث العلمى تحت السجادة" منشور فى مجلة "مونيتور" لرابطة علم النفس الأمريكية APA "أن بعضا من أفضل الدراسات النفسية تعانى فى مواجهة "الصواب السياسى" وهذه هى

(١) مركبات عضوية تدخل فى تركيب بعض المنشطات.

أكبر منظمة محترفة لعلماء النفس فى العالم، وعلى مسئوليتهم، فإن مخالفة الصواب السياسى تذكرة مجانية لما يلى: انقطاع التمويل، التقييمات الهجومية، وصم الباحثين. على سبيل المثال، عندما أشارت دراسته إلى عواقب سلبية لدور الرعاية البديلة للأطفال(١)، تم وصم الباحث بأنه "عنصرى" يمارس التمييز على أساس الجنس. آخرون ممن أعلنوا عن نتائج مثيرة للجدل تعرّضوا للحصار والتهديد باتخاذ تدابير قضائية. ربما يفسّر ذلك كون مرضاى ومريضاتى – والذين غالباً ما يكونون على قدر جيد من المعرفة – جهلاء فى هذه المنطقة: فالتمويل والدعاية تُمنح إلى الدراسات التى تدعم نتائجها أجندة الصواب السياسى. النساء أكثر هشاشة من الرجال؟ لا يمكنك أن تقف فى مواجهة الصواب السياسى أكثر من ذلك.

هل تم إخفاء نتائج الدراسات التى تناولت الكيمياء الحيوية للارتباط العاطفى تحت السجادة؟ يبدو الأمر كذلك حيث أعمل. وعلى مواقع الإنترنت الخاصة بالكليات والجامعات الأخرى التى تصفحتها.

عندما نصحت هيثر وأوليفيا بالامتناع فى الوقت الراهن عن التورّط فى علاقات جديدة، وددت لو كان بمقدورى إعطاؤهما مطبوعة ما أو أن أنصحهما بالاشتراك فى مجموعة دعم نفسى. وكم كان الأمر ليكون رائعاً لو أن هناك تصريحا رسميا من منظمة صحية ضخمة أو منظمة نسائية يدعم جهودى، تصريحا يُشجّع الإداريين فى المدينة الجامعية على الاهتمام العاجل بتلك القضايا الصحية المهمة.

لم أجد ما كنت أبحث عنه. على النقيض. وسط كل المواد الموجّهة للمراهقين والشباب، كانت ترانيم "الحقوق الجنسية" و"الجنس الأكثر أمناً"

(١) التى تقدم الرعاية للأطفال أثناء وجود أمّهاتهم فى العمل.

تتكرر إلى حد الغثيان. كان هناك تناول تفصيلى لكل سلوك من السلوكيات المحتملة، تناول شديد الفجاجة بالنسبة لذوقى، مع اهتمام كبير بموضوعات أفضّل لو أكون على جهل بها.

فلنأخذ على سبيل المثال موقع "اسأل أليس" goaskalice.com الشائع: "خدمة إنترنت للأسئلة والأجوبة الصحية" والذى أنشأه برنامج التعليم الصحّى فى جامعة كولمبيا. هدفهم: "توفير معلومات موثوقة ومدى واسع من وجهات النظر الجيدة للقراء، بحيث يمكن لهم اتخاذ قرارات مسئولة فيما يخص صحتهم وسلامتهم". أنصح كل الآباء والأمهات الذين يوشك أطفالهم على الذهاب إلى الجامعة بإلقاء نظرة على هذا الموقع، والذى يحظى بحوالى ألفى سؤال أسبوعياً، وزيارات أكثر من ذلك بكثير.

"الجنس التليفونى – كيف تبدأ"؛ "المخاطر الصحية لممارسة الجنس مع الحيوانات": تلك بعض الموضوعات المفتوحة للنقاش هناك. فقط اضغط على الماوس– سوف تجد معلومات مفيدة عن السادية والمازوكية، عن "وسائل وألعاب جنسية". وعن شرب البول. وحتى سؤال عن الجنس ثلاثى الأطراف والذى أجابت عنه "أليس" (التى يُعرّفها الموقع بأنها "فريق من معلمى الصحة فى جامعة كولومبيا ومقدمى الرعاية الصحية وخبراء صحة آخرين") أجابت قائلة: "لا خطأ فى تجربة الأمر على شرط أن يمارس الجميع الجنس الآمن". أمّا العضو الذى يسمّى نفسه "سوف أجرب كل شىء مرة"، فتقدّم له أليس نصيحة بخصوص "إتيكيت نوادى العلاقات العابرة" إضافة إلى رابط لموقع الدليل القومى لنوادى العلاقات العابرة. وإجابة على قارئ يتساءل عن كيفية "تنظيف السوط الجلدى ما بين الاستخدامات، خاصة إذا ما علقت به دماء" فإن أليس دائماً ما تستطيع المساعدة: "هيدروجين بيروكسايد".

سوف تميل إلى الاعتقاد بأن الموضوعات غير المتوقعة الموجودة على موقع

اسأل أليس تعكس مشهدا غريبا من فيلم مانهاتن. لكن الأمر أبعد ما يكون عن ذلك. فى بحثى الذى تناول مجموعة من مواقع الجامعات وجدت تطبيعاً لسلوكيات كانت تعتبر من قبل محظورة – إن لم تكن منحرفة – فى مختلف أنحاء بلادنا. فى جامعة ڤيرجينيا كومونويلث، ارتداء ملابس الجنس الآخر هو "نشاط ترفيهى". فى جامعة ميسورى تعتبر "التسلية المائية الخارجية" نوعاً من "الجنس الأكثر أمناً" (لمن اختلط عليه الأمر فهناك تعريف يقدّمه الموقع: "التبوّل على الجسم مالم توجد جروح مفتوحة". ما زلت لا تستوعب الأمر؟ هذا النوع من الانحراف كان له اسم فى يوم ما وكان اسمه المازوكية). مقارنةً بذلك، فإنّ نصائح جامعة ويسكونسن لابنتك حول كيفية "تعليق" الفتاة اللطيفة التى رأتها فى حصة اللغة الإنجليزية ومغازلتها" تبدو وكأنها مجرّد مُحتوى خفيف.

لا . لم يكن هناك شىء بإمكانه مساعدة هيثر وأوليڤيا. لا أسئلة ولا إجابات حول الأوكسيتوسين، الارتباط، الثقة، والبيولوجيا العصبية. لا اعتبار للتبعات العاطفية للعلاقات العابرة على الفتيات الشابات. لا معلومات عن "هشاشتهن المتزايدة أمام التورط العاطفى". لا إشارة لقاطرة محمّلة بمضادات الاكتئاب تقتات عليها بعضهن للبقاء على قيد الحياة. لا قلق إزاء مراكز الاستشارات الجامعية وقد امتلأت عن آخرها بينما تحاول أن تقدم العلاج للجميع.

لماذا لا تظهر الحشود من أمثال هيثر وأوليڤيا الموجودات فى مدننا الجامعية فى أفق "أليس"؟ لماذا تتجاهل ضحايا ثقافتنا هؤلاء؟ لماذا على النقيض هى مشغولة بتطبيع السادية والمازوكية والاضطرابات السلوكية الأخرى؟

من الواضح أن أولويات أليس – وأوليات كثيرين غيرها ممن يتحمّلون

مسئوليات تقديم "التثقيف الصحى" لطلاب الجامعات – ليس لها علاقة بمخاطبة مشكلات عملائى. تخمينى هو أنه مثل أى مكان آخر فى الحرم الجامعى، فإن أليس تقدم النصيحة للطلاب من مكان فيه الأيديولوجيا هى السلطة العظمى. العقيدة المركزية هى أن الرغبات "احتياجات"، ينبغى العمل وفق إرادتها وعلى إشباعها، أن السلوكيات التى يعتبرها المجتمع ويعتبرها الطب شاذة هى طبيعية، بينما كبح جماح الذات ليس طبيعياً؛ أن السلوك الجنسى النظامى – سواء داخل إطار علاقة جادة أو غير جادة – ضرورى وصحّى؛ وأن أى أو كل تلك الأنشطة يمكن أن تخلو من التبعات، طالما كانت "محميّة".

لكن الاعتقاد لا يجعل تلك الممارسات آمنة. فى العالم الذى أعيش فيه، هناك الكثير من التبعات. فى مدينتى الجامعية، الطلاب النشطاء جنسياً أكثر تعرضاً لطلب الاستشارات، وأكثر عرضة لتقييم علاقاتهم/ هن بأنها مصدر للضغوط. يكاد يحدث يومياً أن أقوم بوصف أدوية لمساعدة الطلاب – وغالبا من النساء – على مجاراة خسارة ما ومعايشة قلب مُحطّم. سواء أعجبك ذلك أم لا، فالعلم المُجرّد يقول إن الحميمية تولّد رابطة من الثقة. اسأل هيثر وأوليفيا، فتاتان غير محميتين بصورة مُفجعة: ليس هناك كوندوم للقلب.